

## أم سعود: العبدُ يعجزُ عن إصلاح ما فسداً

نجيب الزامل

.. أرجو، وأدعو الله، أن يخرج هذا المقال من أجل مسؤوليتي أمام الله، ثم إثباتا لحبي الذي لا أُمَيز به أحداً من أبناء بلدي وبناته للوطن .. وحباً لولاية الأمر الذين نريدهم دوماً معنا ويعطيهم الله من أمرهم رشداً، ويزيد من حكمتهم، ويبقيهم لقيادة عادلة لهذه الأمة .. وقلب ولي الأمر يتسع لسماح ما يدور بقلوبنا، وما يمور في عواطفنا، وما يجول من خواطر وأفكار في أذهاننا .. أقول هذا تعظفاً ورحمةً وغفراناً وسماحاً وتفهماً بين الناس؛ حتى لا يعم الغضبُ ويموج .. فالذي يهمننا هو أمن البلاد، وأمن البلاد يعني أمن الناس، وأمن الناس يعني رضاهم، ورضاهم يعني قبولهم .. والقبول يعني قبول الثواب وقبول العقاب، ولكن أن يُشرح ويُثبت لم العقاب ولم الثواب.

إن الشباب السعودي، وهذه ثالث مقالة على التتابع أصرف فيها على أنهم يثبتون أنهم ليسوا من طلاب الشغب والتجمعات الصاخبة، بل إنهم يمجونها ويعافونها ولا تقبلها عقولهم ولا ذانقتهم .. ولكنهم يعبرون بالطريقة النموذجية ليناشدوا للأفضل، ويؤمنون بأن العدل والحكمة والطيبة والحزم والتفهم موجودة عند ولاية أمور الدولة. ومن تحت هذه المظلة الرحبة ينطلقون للتعبير والمطالبة من دون ضجة، من دون استجلاب صيحات ومناشدات من وإلى الخارج .. إنهم يعالجون مشاكل الأمة من الداخل بينهم وبين مجتمعهم وبين المسؤولين الذين يحترمونهم ويظنون بهم الظن الحسن .. وولاية الأمر قالوا في أكثر من مناسبة، وما زالوا، إنهم ليسوا فقط يتقبلون النصح والمشورة، بل لم يتوانوا في أن يقولوا إنهم يطلبونها متى جاءت صادقة من أجل الصالح العام، ومغلفة بما يتطلبه النصح من أدبٍ جمٍّ وتطلع صريح، ومصالحة جارية غير ضيقة ولا منحازة ..

هذا الدافع، هذا المنطلق، هذا الإيمان، تلك الراحة التي تورثها تلك الحقائق في قلوب الفتية والفتيات هي التي تجعلهم يعملون من أجل ذوات غير ذواتهم. الشباب هم من أطلقوا فيلم: "أوباما أطلق حميدان" الذي انتشر كما لم ينتشر فيلمٌ قصيرٌ من قبل لموضوع جاد .. لم يكونوا يعرفون عائلة حميدان، فهم مجرد طلاب قدموا من جدة للدراسة في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن .. ورأوا في قضية حميدان شأنًا وطنياً وأنه أخوهم السعودي المسلم، فانتقلوا بحماسة تهزّ الوجدان لإنجاز المهمة في أيام ..

اليوم شباب آخرون يخرجون فيلماً بعنوان "سعوديون غائبون" .. وانظروا الفخر والاشتياق في اختيارهم صفة "سعوديين"، لم يستخدموا صفة "مساجين"، وهذه رسالة عبقرية الصدق بفخرهم لكونهم سعوديين، ويؤمنون بحنو وصدق وعدالة هذه الدولة وأنها تتيح التعبير عن الألم، عن الوجد، عن الشوق، عن التيه، عن اللغز الذي يغرق في الألغاز، عن الانتظار على شاطئ بلا بحر ولا مركب .. عن دمة قلب حمراء، عن آهة أم متدثرة كالملاك بالبياض وتشدّ تنادي ابنها السجين: "يا سعود يا سعود العبدُ يعجزُ عن إصلاح ما فسداً..".

فيلمٌ مَبْكٍ، يحرك سيلاً من الدمع يهبط من السروات لينساح على بطاح نجد، وسهول الشرق، وبراري الشمال .. دعواتٌ تتصاعد من الأرض الضيقة إلى السماء اللانهائية، من أمهات، من آباء، من أبناء، من بنات، من أجل رجوع أحبابهم الذين هم بالسجون، ومضت السنون تاكل أعمار من بداخل السجون، ومن هم بانتظارهم خارج السجون. ونخاف من الانتظار أن يكون مع الزمن، من الطفولة للشيخوخة، تجمعاً موجعا قاهراً من الاحتجاج ثم الغضب. نتيجة لا يريدنا أحدٌ محب لهذا البلد الآمن العزيز، ولا لمن نحبهم ونقدم لهم البيعة طوعاً وحباً وثقةً ونسلمهم بثقةٍ ورغبةٍ مصانرنا.

في فيلم "سعوديون غائبون" بكيّت بصوتٍ مسموع، وأم سعود الملايكية المسوح تنشد لابنها الغائب، تنشد بالدعوات لسعود الحبيب، ثم يميل رأسها للوراء لا إرادياً، لقوة رجفة الأعصاب داخل الوجدان المشتاق، تدعو ربّها بإنشادٍ يفتّر القلب الذي يريد مهرباً من ققص الضلوع .. تنادي في الذهول ربّاً لا يغيب ولا يذهل.

إن فتاة في رونق الزهر هي "إيمان" تتحسر أباهما، وتذكر مناقبه وكيف ربّاهما على الصدق وحب الوطن، وكيف يتعلق به تلاميذه لأنه، كما تقول بصوت متهدج، يحبهم ويصارعهم ولا يسكت عن الخطأ ليكون هذا البلد من أفضل البلدان.. "راح أبي" - تقول - "وتحملتُ وحدي كل مسؤولية العائلة!"

ولن أحدثكم عن دموع وشهقات وشوق طفل .. كفى!

نؤمن بعدالة الحكم بهذا الوطن، وبأن ولاية الأمر ساهرون على راحة كل فردٍ منا.. ولكن، تغيب أشياء، ولم يدع أحدٌ أننا بلادٌ نزلت منزهة مطهّرة كاملة من السماء .. ونؤمن ونوقن بأن ولاية أمرنا يسعون ما أمكنهم لأن تكون بلادنا أقرب للنزاهة والطهر والعدل كاملاً .. يجب أن يعاقب المسيء وإلا فلت الزمام وعمت الفوضى، ولكن كما يقول المحامي "باسم علم" إن معرفة التهمة والمحاكمة السريعة والرأي متى كان صادقاً غير ضار، من أبسط الحقوق وفي هامة النظام الأساسي للحكم، يلاقي قبولا عند ولاية الأمر بأن معرفة الأم بمصير ولدها والبنت بمصير أبيها، والطفل بحق الله في دموعه، وأهة أم سعود الحرى، ولهفة الشابة إيمان وآلاف غيرهم هي أولى البدايات وأصلّ من أصل الحقوق..

أعرف، ولاية الأمر لا يقولون هؤلاء سجاناؤنا، بل يقولون، وهم محقون: هؤلاء أبناؤنا. أن لأبنائهم أن يستقروا في قلوب من يحبونهم..

جميع الحقوق محفوظة لصحيفة الاقتصادية الإلكترونية 2009  
تصميم وتطوير وتنفيذ إدارة البوابة الإلكترونية في صحيفة الاقتصادية